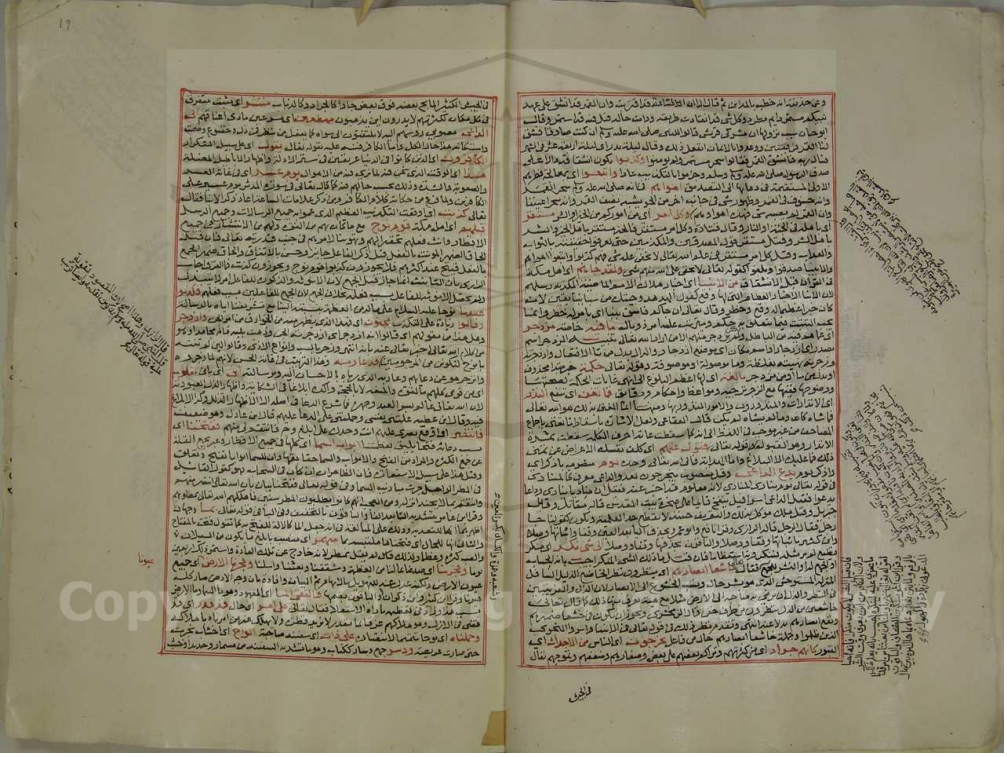

وعن حذيفة انه خطبه المداين ثم قال الا ان الله تعالى قد اقترب وان القمر قد انشق على عهد
نبيكم مستمر دايم مطرد وكل شي قد انقادت طريقه ودامت حاله قيل فيه قد استمر وقال
ابو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق
لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان اتفعل ذلك وقال ليلة بدر اي ليلة اربعة عشر في الشهر
فقال ربه فانشق القمر فقالوا سحر مستمر ولم يؤمنوا وكذبوا يكون انشقاقه دالا على
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وجزموا بالتكذيب عادا واتبعوا اي بمعالجة فطرتهم
الاولى المستقيمة في دعائها الى التصديق اهواءهم فانه صلى الله عليه وسلم سحر القمر
وانه خسوف في القمر وظهور شي في جانبه اخر من الجو يشبه نصف القمر وانه سحر اعيننا
وان القمر لم يصبه شي فهذه اهواؤهم وكل امر اي من امور كم من الخير والشر مستقر
اي باهله في الجنة او النار وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر
باهل الشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب
والعقاب وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شي فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم
والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شي ولقد جاءهم اي اهل مكة
في القرآن قبل الانشقاق من الانبياء اي اخبار هلاك الامم الماضية المكذبة وسلمهم
لان الانبياء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك من سبا بنبا يقين لانه
كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا اي بامر له خطر وانما
يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ومن ثبت عليه امر ذو بال ما فيه خاصة مزدجر
اي ما هو فيه من الباطل والمزدجر منهم الا من اراد الله تعالى تنبيه الزجر جزاء
مصدر اي ازدجارا واسم مكان اي موضع ازدجار والدال بدل من تاء الافتعال وازدجر
وزجر بمعنى تنبيه بغلظة وما موصولة او موصوفة وقوله تعالى حكمة خبر مبتدا محذوف
او بدل من ما او من مزدجر بالغة اي لها الغطة البلوغ الى اقصى غايات الحكمة لعظمتها
ووضوحها فيتبع مع الزجر تحيته ومواعظ واحكام ودقائق فما تغن اي تنفع النذر
اي الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها انما المغني بذلك هو الله تعالى
فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال القفال ولعل الاشارة باسقاط ما تغني باجماع
المصاحف من غير موجب في اللفظ الى انه كما سقطت عامة احرف التكلم سقطت ثمرة
الانذار وهو القبول لقوله تعالى فتول عنهم اي كلف نفسك الاعراض عن تمني
ذلك فما عليك الا البلاغ واما الهداية فالى الله تعالى وحده يوم مفعول باذكر اي
واذكر يوم يدع الداعي وقيل منصوب بيخرجون بعد والداعي معرف كالمنادي
في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي وداعيا
يدعو فقيل الداعي اسرافيل ينفخ فاما على الهجرة بيت المقدس قال مقاتل وقال
جبريل وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقتضي حد العلمية ويكون كقولنا جاء
رجل فقال الرجل قال الرازي وقرأ نافع وابو عمرو بحذف الياء بعد الغين وقفا واثباتها وصلا
وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا الى شي نكر اي منكر
فظيع لم يرمثله فتنكره وتستعظمه فان قيل ما ذلك الشي المنكر اجيب بانه الحساب
او الجمع له والنشر للجمع فقال خاشعا ابصارهم اي منظرون نظر الخاضع الذليل السافل
المنزلة المستوحش الذي هو بشر حال ويسب الخشوع الى الابصار لان الذل والفزع يبين
في النظر والذل ان يرجع من حاجة الى الارض فلا يرفع بصره ويكون ذلك في الخاشعين
خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي قال الزمخشري ويجوز ان يكون في خشعا ضمير
ويقع ابصارهم بدلا عنه انتهى وتقدم نظر ذلك في قوله تعالى في الانبياء واسروا النجوى
الذين ظلموا وجملة خاشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون اي الناس من الاجداث اي
القبور كانهم جراد اي من كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم تعالى

في الجيش

في الجيش الكثير المائج بعضه فوق بعض جاؤا كالجراد وكالذباب منتشر اي مثبت متفرق
في كل مكان كثرتهم لا يدرون اين يذهبون مهطعين اي مسرعين مادي اعناقهم الى
الداعي مصوبي رؤوسهم اليه لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت
واستكانة هذا حال الكل واما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى يقول اي على سبيل التكرار
يكافرون اي الذين كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة
هذا اي الوقت الذي نحن فيه مما نرى فيه من الاهوال يوم عسر اي في غاية العسر
والصعوبة والشدة وذلك بحسب حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على
الكافرين ولما فرغ من حكاية كلام الكافر ومن ذكر علامات الساعة اعاد ذكر الانبياء فقال
تعالى كذبت اي اوقعت التكذيب العظيم الذي عموا به جميع الرسالات وجميع الرسل
قبلهم اي اهل مكة قوم نوح مع ما كان لهم من الفتوة ولهم من الاستنكار في جميع
الاقطار وانت فعلهم تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم في جنب قدرته تعالى فان قيل
الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع
بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوز ان يكذبوا قوم نوح ويجوز ان كذبت فالقول جاب
الرازي بان التانيث انما جاز قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتبدل
ولم يحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين سبب فعلهم فكذبوا
عبدنا نوحا عليه السلام على ما قدر من العظمة بنسبته الينا مع تشريفنا اياه بالرسالة
وقالوا زيادة على التكذيب مجنون اي فهذا الذي يظهر منه من الخوارق من امر نوح وازدجر
وهل هذا من مقولهم اي قالوا انه ازدجر اي ازدجرته الجن وذهبت بلبه فانه مجاهد او
من كلام الله تعالى اخبر تعالى عنه بانه ازدجر بالسب وانواع الاذى وقالوا ان لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين قد عاديته وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه
وازدجروه عن دعائهم وعاديه الذي رباه بالاحسان اليه ومرسلته اي اي باني مغلوب
اي من قومي كلهم بالتقوى والمنعة لا بالحجة والكلام ابلاغا في الشكاية واظهارا لذل العبودية
لان الله تعالى عالم بسر العبد وجهره فما شرع الدعاء الا اظهارا لذلك وكرر الابلاغ
فيه وقال ابن عطية علمتني نفسي وحملتني على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف
فانتصر اي اوقع بصري عليهم انت وحدك على ابلغ وجه فانتصر لي منهم ففتحنا اي
بسببه وعاية فتحا يليق بعظمتنا ابواب السماء اي كلها في جميع الاقطار وعبر بجمع القلة
عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب والسماء حقيقتها وان للسماء ابوابا تفتح وتغلق
وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان كان في السحاب فهو كقول القائل
في المطر الواحد جرت ميازيب السماء وفي قوله تعالى ففتحنا بيان بان الله تعالى انتصر منهم
وانتقم بما لا يحتمله الا من له ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى بمطلوبهم
وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء والباقون بالتخفيف وفي الباقي قوله تعالى بماء وجهان
اظهرهما انه للتعدية وذلك على المبالغة في انه جعل الماء كالالة للفتح بها فتقول فتحت بالمفتاح
والثاني انها للمجاز اي فتحنا ما ملتبسا بماء منهمر اي منصب بالغ ما يكون من السيلان
والصب كثرة وعظما ولذلك قال ابن عطية بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك اربعين
يوما وفجرنا اي صدعنا عالمنا من العظمة وشققنا وبعثنا واسلنا وفجرنا الارض اي جميع
عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالتهام الياء وافادة بان وجه الارض صار كله
عيونا وقرأ ابن كثير وابن ذكوان والباقون بعضهم فالتقى الماء اي المعهود وهو الماء السماء والارض
بسبب هذا وزاد في تعظيمه باداة الاستعلاء فقال تعالى على امر اي حال قد قدر اي قد
قضى في الازل وهو ملاكهم غرقا بما مقدر لا يزيد فطرة ولا يهلك غيرهم امرناه بما ملاكه
وحملناه اي نوحا متمما لاستعلاء على ذات اي سفينة صاحبة الواح اي اخشاب تجري
حتى صارت عريضة ودسر جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به السفينة من مسمار وحديد وخشب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)